الشكـل الخارجى للموشحة

- ٤ -

البـيت

فى موشح ابن رافـع رأسه رأينا أن كـل بيت يتكون من ستة أشطـار ، كل شطرين فى خط أفقى (يشبهان أحد أبيات الشعر العمودى) ، والبيت هكذا مكون من ثلاثة خطوط أفقية تتوالى رأسيا فى النظام التالى :

عمـود (١) عمـود (٢)

والأشطار هكذا تشكل عمودين رأسيين ، قوافى الخطوط الأفقية الثلاثة داخل كل عمود واحدة ، وهى تتخالف من عمود لآخر ، أو تتآلف ، وفى الأغلب الأعم تتخالف مثلما رأينا فى موشح ابن رافع رأسه المذكور . وفى النادر أن تتآلف فى العمودين كما نرى فى المقطوعة الاولى من موشح للششترى (١) .

دارت عليك الأقـداح بـــروح وراح

- ١ -

فعـج على الخمـار بخلـع العـذار
تبصر سنـا الأنـوار اذا مـا تـدار
وعـالـم الأسـرار يلـح لـك جهـار
والراح روح الأرواح مـا فيهـا جنـاح

---

(١) ديوان الموشحات ، ج ٢ ص ٣٣٥ .

- ٢ -

جمـالهـا مشهـور في الـدين القـديم
لاحـت ولاح النـور في الليـل البهيـم
ودك مـنهـا الطـور لمـوسى الكـليم
وحين القى الألـواح بـالمكتـوم بـاح

- ٣ -

جاءت بـأنس النفس والسحر الحـلال
نـزهت عـن جـنس جلت عـن مثـال
واشرقت كـالشمس في افـق الجمـال
وبشـرت بـالأفـراح لأهـل الصـــلاح

- ٤ -

يـاكـل كـل الكـل جـدلى بـرضـاك
ان لـم تكن لى من لى محبوبـا سواك ؟
وقبـل يـوم الهـول قصـدى أن أراك
شوقى اليك المفتـاح لـبـاب الـفـلاح

- ٥ -

بالهـاشمى المختـار الهـادى الـرسول
أرجو قضا الأوطـار ونـيـل الـقبـول
والعفـو عن الأوزار في اليـوم المهـول
فـى هـذه الأمـداح نشر المسك فـاح

فالعمود (١) ، (٢) من المقطوعة الأولى يتفق فى اتخاذ (ار) قافية ، ثم بعد ذلك يعود العمودان للتخالف فى باقى الموشح . ونفس الشىء يحدث فى موشح للمرينى حيث تتآلف المقطوعة (١) ثم (٣) وتتخالف باقى المقطوعات فى قوافى العمودين ، والموشح هو :

فى نغمة العود والسلافه والروض والنهر والنديم
أطال من لامنى خلافه فظل فى نصحه مليم

- ١ -

دعنى على منهج التصابى ما قام لى العذر بالشباب
ولا تطل فى المنى عتابى فلست أصغى الى عتاب
لا ترجو ردى الى صواب والكأس تفتر عن حباب
والغصن يبدى لنا انعطافه اذا هفا فوق النسيم
والروض أهدى لنا قطافه واختال فى برده الرقيم

- ٢ -

يا حبذا عهدى القديم ومن به همت مسعدى
لريم عن الوصل لا يريم مولع بالتودد
ما تم الا به النعيم طوعا على رغم حسدى
معتدل القد ذو نحافه أسقمنى طرفه السقيم
ورام طرفى به انتصافه فخذ فى خده الكليم

- ٣ -

غض الصبا عاطر المقبل أحلى من الأمن والأمل
ظامى الحشا مفعم المخلخل حلو اللمى ساحر المقل
وكل من رامه توصل لم يخش ردا بما فعل

أشكـو فيـبدى لـى اعترافـه ان حـاد عـن نهجـه القـويـم
لا أعـدم الـدهـر فيـه رافـه فـحـق لـى فـيـه أن أهـيـم

— ٤ —

لله عـصـر لـنـا تـقـضـى بـالسد والمـنـزه الـبـهـيـج
أرى ادكـارى الـيـه فـرضـا وشـوقـه دائـمـا يـهـيـج
فـكـم خلـعنـا عليـه غمضـا وللـصـبـا مـسـرح أريـج
ورد أطـال المـنى ارتشـافـه حتى انقضى شربـه الـكـريـم
للـه مـا أسـرع انـحـرافـه وهـكـذا الـدهـر لا يـديـم

— ٥ —

يـا مـن يحث المـطى غـربـا عـرج عـلى حضـرة المـلـوك
وانثـر بهـا ان سفحت غـربـا مـن مـدمـع عـاطـل سلـوك
واسمـع الـى من اقـام صبـا واحـك صـداه لافـض فـوك :
بلـغ سلامى قصر الـرصـافـه وذكـره عـهـدى الـقـديـم
وحـي عنـى دار الـخـلافـه وقـف بهـا وقـفـة الـغـريـم

نلاحظ بعد ذلك فى الموشحات الثلاثة (ابن رافع راسه ، الششترى ، المرينى) أن كل الأبيـات تتفق فى قوافيها داخل البيت نفسه على مستوى كـل عمود من عمودى البيت سواء تألف العمودان أو اختلفا (وفى الغالب الأعم يختلفان كما سبق وأشرنا) لكنها تتجدد وتتنوع من بيت لآخر . وهكذا يذكرنا بما أسلفنا من تعريف ابن سناء الملك لها «والأبيات هى أجزاء مؤلفة أو مركبة يلزم فى كل بيت أن يكون متفقا مع بقية أبيات الموشح فى وزنها وعدد أجزائها لا فى قوافيها ، بل يحسن أن تكون قوافى كل بيت منها مخالفة لقوافى البيت الآخر» . لقد اتضح شىء غير قليل من هذا التعريف . يبـقى أن أشطار البيت لا يسميها ابن سنـاء الملك

أجزاء ، ونحن نقترح أن تسمى أشطارا فحسب . وقد رأينا فى الموشحات الثلاثة نفس الصورة ، لترتيب الخطوط الأفقية والأعمدة الرأسية :

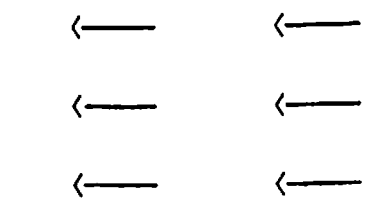

وكل خط أفقى سنطلق عليه اسم «الغصن» بدلا من اسم الجزء (عند ابن سناء الملك) وبالتالى فالبيت يتكون من ثلاثة أغصان ، وكل غصن يتكون من شطرين ، أو فقرتين (حسب ابن سناء الملك) وعليه تكون الموشحات الثلاثة متشابهة فى عدد أغصان أبياتها ، وفى عدد أشطار كل غصن .

والغصن عادة يتكون من شطرين ، وكل شطر داخل كل عمود يتساوى فى عدد مقاطعه اللغوية (سنفصل ذلك بعد) وليس من شرط أن يتساوى فى عدد المقاطع اللغوية شطرا كل غصن .

لكن الغصن فى موشحات عديدة يكون شطرا واحدا ، وتكثر هذه الظاهرة عند ابن زهر الحفيد ، ونورد مثلا لها موشحه الأقرع (١) :

- ١ -

صادنى ولم يدر ما صادا
شادن سبى الليث فانقادا
واستخف بالشمس أوكادا
يالله قد ضم بالغصن أزراره وبالحقف زناره

- ٢ -

لو أجاز حكمى عليه
لاقترحت تقبيل نعليه

(١) ديوان الموشحات ، ج ٢ ص ٩٠-٩٢ .

لا أقـــول الـــثـــم خـــديـــه

أنـا من يـعظـم والله مـقـداره ويـلـــزم اكـــبـــاره

- ٣ -

يـا سـمـاك حـسبـك أو حسبـى

قـد قضـيـت فـى حبـكـم نحبى

واحـتسبـت نـفسى فـى الـحـب

انهـا نـفس لـذا الحـب مختـاره وبـــالـسـوء امـــاره

- ٤ -

عـارض الـفـؤاد بـاشجـانـه

ومضى عـلى حـكـم سلطـانـه

فـانبـريـت فى بعـض أوطـانـه

تـارة اقـبـل فى التـراب آثـاره وانـــديـــه تـــاره

- ٥ -

ايـهـا المـدل بـأجـفـانـه

كـم وفيت والغـدر من شانـه

واقـول فى بعـض هجـرانـه

وعلش حبيب قطـعت الـزيـاره وعـيـنـيـك سحـــاره

وفى هذه الحالة تتساوى كل الابيات فى عدد مقاطعها اللغوية ، وحيث ان البيت عمود واحد فقط فقوافيه متالفة لكنها تخالف غيره من الأبيات حيث لكل بيت قافية متجددة .

وقد يكون كل غصن فى البيت مكونـا من ثلاثة اشطار ، وهذا قليـل ومتكلف للغاية فى الغالب ، ونضرب له مثلا ببيتين من موشح لابن اللبانة (١) .

(١) ديوان الموشحات ، ج ١ ص ٢١٥ - ٢١٦ .

دع ذكـــر الآبـــاد والمـنـزل الـطـاسم والـفـدفـدا
امـدح بـنى عبـاد أعـنى أبـا القـاسم مـحـمـدا
مـؤيـد الأجـنـاد ملكـا عـلى الحـاكم مـعـقـدا
حـاز العلا والجـود عن الجـدود الصيـد والمـعتـضد

* * *

قـد أرخ الـرخـام من ذكـر مولانـا فـى المـرمـر
مـا حـاكه النظـام درا ومـرجـانـا فـى جـوهـر
يـا حبـذا الالهـام وان هـو كـانـا لـم يـشـعـر
النصـر والتـأييـد والمجد والتمجيـد للـمـعـتـمـد

والآن نضرب مثلا لبيت أغصانه من ٤ أشطار من دار الطراز (١) .

بـأبـى ظـبى حمى تكـنفـه أسـد غيـل
مـذهبى رشـف لـمـى قـرقفـه سلسبـيـل
يستـبى قلبـى بمـا يعطفـه اذ يـمـيـل
ذو اعتدال يعزى الى ذى نعمة ثـابت فى ظلال تحت حلى
قطر الندى بـايت

وفى هذه الحالة لدينا فى المثل الاول ثلاثة أعمدة ، وثلاثة أغصان بكل غصن ثلاثة أشطار ، وفى مثل دار الطراز الأخير أربعـة أعمدة وثلاثة أغصان ولكـل غصن أربعة أشطار ، وهذا الأخير يزداد فيه التكـلف والافتعال الا فى حـالات نادرة منها المثـل الذى أورده ابن خلدون نقـلا عن ابن سعيد فى «المقتطف من أزاهر الطرف» وهو (٢) :

---

(١) دار الطراز ص ٣٠ .
(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، مؤسسة الاعلمى للمطبوعات ، بيروت (بدون تاريخ) ، ص ٥٨٤ . ثـم : ابن سعيد ، المقتطف من أزاهر الطرف ، (تحقيق : سيد حنفى حسنين) ، الهيئـة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٢٥٥ .

بـدر تـم	شمس ضـحى	غـصن نقـا	مسـك شـم
مـا انـم	مـا أوضحـا	مـا أورقـا	مـــا انـم
لا جـــرم	مـن لمحـــا	قـد عشقـا	قـد حـــرم

وفى جميع الأحوال السابقة كـان البيت مكونا من ثـلاثة أغصان (أجزاء) ، ولكن فى أحيان نادرة يكون من أربعة أو خمسة أغصان ، وكل غصن من شطر واحد أو شطرين . أى انه يكون على أحد الأوضاع الآتية (١) :

⟵	أو	⟵	أو	⟵	⟵	أو	⟵	⟵
⟵		⟵		⟵	⟵		⟵	⟵
⟵		⟵		⟵	⟵		⟵	⟵
⟵		⟵		⟵	⟵		⟵	⟵
		⟵					⟵	⟵

وهناك مثل اندر يورده دار الطراز لبيت من ثلاثة أغصان ونصف (٢) :

من أودع الأجفـان	صـوارم الهنـد	⟵ ⟵
وانـبت الـريحـان	فى صفحة الخد =	⟵ ⟵
قضى على الهيمـان	بالـدمع والسهد	⟵ ⟵
انـسى وللـكـتمـان		⟵

وهنـا نرى أن العمود الاول أطول من العمود الثانى ، وقد أطلقنـا (نصف غصن) على الخط الرابع الأفقى من العمود الاول تجاوزا ، فهو فى الحقيقة غصن شاذ يتكون من شطر واحد ، وبالتالى فنحن تابعنا من باب التكريم كلف ابن سناء الملك بالتصنيف وكـثرة الأبواب لأنه يصف هذا بـأنه يتكون من ثلاثة أجزاء (أغصان) ونصف ، لكن طبقـا لتنظيره فهو مكون من اربعـة أجزاء (أغصان) الثلاثة الاولى منها مكونة من فقرتين (شطرين) والجزء الأخير مكون من فقرة واحدة (أى : شطر واحد) .

---

(١) راجع بعض الامثلة ، فى دار الطراز ص ٢٩ .
(٢) دار الطراز ص ٢٨ .

ولابن سناء الملك بعض الحق فى ذلك لعدم وجود وضوح فى المصطلحات ، وهو يجتهد (ولعله أول من فعل ذلك ، ولم يتجاوزه أحد من بعد) بقدر طاقته ، فمصطلحات الموشحات تاهت بين المغاربة والمشارقة ، وبين جوقات الموسيقى الاندلسية بالمغرب وبين أخبار أندلسية قديمة غامضة ومبتسرة . ولهذا ، فان البعض يطلق كلمة الغصن كمرادف للبيت ، وابن قزمان يستخدم مصطلح السطر بجانب مصطلح البيت الذى أوردناه منذ قليل من زجله رقم ١١٩ ، أما مصطلح السطر (١) فيرد فى زجله رقم ٩٣ .

يا وزير عظيم هـ شانك وعظيم هـ يد شانى .
واذا ما كنت وحدك لم يجدف الدنيا ثانى
فكذاك لس ثم من زجال ان يقل ذا التسعة أسطار

ومن المثير أن ابن عبد ربه قد استعمل المصطلح نفسه ، مما يدل على أن «سطر» أقدم من «بيت» فى استخدام الاندلسيين من قدماء الوشاحين ، والطريف أيضا أن كلمة «دور» – وهى مصطلح موسيقى – قد استعملت أيضا مرادفا للبيت ، وينسب لابن عربى استخدامها كما ينسب استخدامها للتقاليد المشرقية (٢) وأخيرا فان ابن خلدون وابن سعيد معه يطلقان «البيت» على المقطوعة باكملها ، أما ابن سناء الملك فلا يشغل نفسه بأى اسم يطلقه على المقطوعة بل لا يشير اليها قط (٣) .

---

(١) الموشح الاندلسى ص ٢٨ – ٢٩ ، وديوان ابن قزمان ص ٦٢٦ .
(٢) الموشح الأندلسى ص ٢٨ .
(٣) نفسه ص ٢٩ .